كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف، في الاحتفال بذكرى المئويّات الثلاث لكليّات الطبّ (١٣٠ عامًا) والحقوق والهندسة (١٠٠ عامًا) في ١٦ أيّار (مايو) العام ٢٠١٣ في حرم الابتكار والرياضة.

أصحاب السعادة، حضرات السادة والسيّدات،

١. يخالجني شعورٌ بالفرح الكبير أن أعيش معكم هذه المئويّات التي تحتفل بها ثلاث كليّات هي كليّة الطبّ وكليّة الحقوق وكليّة الهندسة ! إنّ عمداء هذه الكليّات وفرقهم لم يبخلوا في تنظيم الاحتفالات والمناسبات لتذكّر القيم التي تأسسّت عليها هذه الكليّات، وتقدير إنجازاتها الخاصّة، وبناء جسور نحو المستقبل. اليوم، الجامعة بأكملها، في هذا الاستقبال الذي يجمع بين الأشخاص في جامعة القدّيس يوسف، الإدارة والمعلّمين والطلاّب والخرّيجين القدامى وأصدقاء جامعة القدّيس يوسف، تتوجّه نحو الكليّات المحتفلة بمئويّاتها لكي تهنّئها وتشجّعها على الاستمرار في حمل رسالتها نحو الأعلى والأقوى والأبعد في خدمة بلدنا وشبابه، ووحدته وحريّاته. ليكن احتفالنا اليوم موضوعًا تحت راية علامة ثلاثيّة الرجاء والتضامن والالتزام.

٢. إنّ جامعة القدّيس يوسف، شأنها شأن كليّاتها الثلاث، هي استمرار لفعل الرجاء والأمل والثقة وتعلن أنّه على الرغم من كلّ الصعوبات، سوف يتمّ إنجاز مهمّتها ورسالتها. نقطة على السطر. تمّ إنجاز هذه الرسالة من قِبل رجال وفي الآونة الأخيرة من قِبل نساء يتسلّحون جميعهم بإرادة صلبة من حديد فبذلوا كلّ ما في وسعهم وكانوا مغامرين وذوي فكر ثاقب، وواثقين في أنفسهم لأنّهم واثقين أنّ الآخر ليس موجودًا هنا بهدف الخيانة أو للعمل ضدّ الآخرين.

هذه الرسالة أنجزها أشخاص حالمون وأصحاب رؤى كانوا يشعرون قبل كلّ شيء بمحنة ومعاناة شعب رزح

تحت وطأتهما، كما رزح تحت وطأة الجهل الذي يسبّب أضرارًا جسيمة والتطرّف الأعمى الذي لا ينتج عنه إلا العنف والموت فقط.

هذه الرسالة أنجزها علماء آمنوا وما زالوا يؤمنون أنّ المعرفة الأكاديميّة في جميع أشكالها هي بوّابة عبور للتقدّم تجعل البشريّة أكثر إنسانيّة وتنمّي ذكاء العقل والقلب.

منذ زمن كان البعض يعتقد أنّ جامعة القدّيس يوسف وكليّاتها ستنهار، ولن تعرف تجدّدًا حقيقيًّا، والبعض الآخر كانوا يمنّون النفس ويستعدّون للحصول على الإرث. ولكن ها إنّ كليّاتنا اليوم التي تحتفل بمئويّاتها لم تفقد نفوذها ولم يشحّ إشعاعها، حتّى لو أنّ بإمكانها أن تعطي أكثر، وهي مدركة لهذا الأمر، وتستعدّ بالفعل لعمليّة إعادة إحياء وذلك بفضل مواردها البشريّة.

نحن نتذكّر معها اليوم أنّ جامعة القدّيس يوسف تقوم على هذا العمل التاريخي الأصلي والأصيل من الأمل والثقة في إنجاز رسالة أكاديميّيّة يمكن ويجب أن تكون شاملة وفي خدمة كلّ الإنسان وكلّ إنسان، وكلّ المجتمع اللبناني والقضيّة اللبنانيّة، من دون أن ننسى جذورها المسيحيّة، في وقت يبدو لنا فيه أنّ الإنغلاقات على الذات والمصالح الضيّقة لاقتسام قالب الحلوى توجّه مسار التاريخ. صدّقوني أنّ الرسالة التعليميّة اللبنانيّة هي التي تجذب لأنّ التربية هي فعل تحرّر. وكما أنّ جامعة القدّيس يوسف فازت في هذه المعركة في الماضي، فالغلبة لها دائمًا !

٣. كيف السبيل اليوم للبقاء على المسار والاستمرار في إنجاز رسالة تنمو من دون معمعة، وتصبح جامعة موجّهة للأبحاث ناهيك عن خدمة المجتمع، والمجتمع بأسره، واستقبال طلاّب جدد مستحقّون يعتمدون علينا لبناء أنفسهم وليصبحوا النخبة التي تخدم القضيّة اللبنانيّة. وكيف السبيل إلى استئناف توسّعنا في المناطق، وكيف نحقّق ذلك إن لم يكن من خلال قيمة التضامن الفعليّة والفعّالة ؟ ليست العاطفة وحدها هي الحافز

على التضامن، وليست القضايا الإنسانيّة والكوارث أو المآسي التي تؤثّر على الأطفال هي التي ينبغي عليها فقط تحويل القلوب والحثّ على التضامن والكرم ؛ صدّقوني، هناك قضايا أخرى تستحقّ تضامننا. اليوم، كأعضاء في جماعة جامعة القدّيس يوسف الكبيرة المكوّنة من الطلاّب والمعلّمين وأعضاء كلّ الهيئة الإداريّة والهيئة التعليميّة، قضيّتنا الأولى تكمن في أنّه يتوجّب علينا أن نجدّد إحساسنا بالانتماء إلى جامعتنا، أمّنا المربيّة وقيمها، الأمر الذي يعزّز شعورنا بالفخر ويكوّن هويّتنا. إنّه التضامن في الإحساس المشترك بالانتماء، ولكن أيضًا هو التضامن المجبول بأعمال الدعم والمساعدة المعنويّة والماديّة وهي متعدّدة، لكي تشعّ جامعة القدّيس يوسف أكثر فأكثر لأنّ احتياجاتها أصبحت أكبر. فالتعليم العالي، كما جاء في بنود ميثاقنا، هو بالفعل قضيّة حقيقيّة، فما القول إذن (وأنا لن أخجل اليوم أن أقول هذا) عن هذه الأفعال التضامنيّة من قِبل الخرّيجين القدامى والأصدقاء الذين يبادرون سنويًّا لمساعدة أكثر من ٢،٥٠٠ طالب يعتمدون عليهم وعلى مؤسّساتهم حتّى يتسنّى لهم مواصلة دراستهم. لم يخشَ اليسوعيّون أبدًا أن يلتمسوا المساعدات لأعمالهم التربويّة والاجتماعيّة من دون الإحساس بالتبعيّة، وذلك لأنّ الله نفسه يأمر بالمساعدة والصدقة. اليوم أيضًا، وأنا أوجّه شكري لهؤلاء الأشخاص الذين تبقى أسماؤهم طيّ الكتمان والذين يمدّوننا بالمساعدة، أطلق النداء لكي يستمرّ هذا الدعم ويزدهر. لا تخافوا من إعطاء فلس الأرملة، سواء كان درهمًا أو قرشًا أو أكثر من ذلك، فتضامن الجماعة هو الذي سيؤتي ثماره ويجلب الفرح للجميع.

٤. وأخيرًا وليس آخرًا، فإنّ التزامنا بالأمس على مستوى ثلاث كليّات تحتفل بمئويّاتها يدعونا اليوم لتأكيد الالتزام نفسه الذي أخذناه على عاتقنا منذ قرن و٣٨ عامًا. لقد كان هذا الالتزام إلتزام العقل والذكاء والقلب. لقد كان التزام رهبنة دينيّة، جماعة اليسوعيّين، وعلمانيّين وأشخاص مكرّسين جسدًا وروحًا من أجل قضيّة وجيهة. أنا لا أسعى لأجعل منكم يسوعيّين – إذا كان بين الشباب من لديهم دعوة ويفكّرون باعتناق الرهبنة، عليهم أن يقابلوا الأب غابي، المرشد الروحي لجامعة القدّيس يوسف – ولكنّني أقول إنّه إذا شارك أحد قيم هذه الجامعة، فإنّه لا يمكنه أن يتجاهل أنّ في روحه تسكن بعض الأشعّة من التسامح والانفتاح والمشاركة مع الآخر، والرغبة المتواصلة لتمييز ما هو أفضل للقيام به واحترام الذكاء ومحبّة الآخر نفسه وخاصّة الآخر المختلف والبعيد ، واحترام حريّة هذا الآخر، والبساطة الروحيّة، وبمختصر مفيد، طريقة التفكير والتصرّف التي يتمتّع بها قداسة البابا فرنسيس الذي تلقّى تعليمه في مدرسة القدّيس إغناطيوس.

أيّها الأصدقاء، جامعتنا تتّكل على كلّ واحد منكم، لأنّكم أنتم الجامعة. وإن كانت جامعة القدّيس يوسف تشكّل استثناءً، سوف نكون حاضرين دومًا لجعلها قاعدة عامّة، لأنّنا لا نزال متعلّقين بلبناننا هذا الذي ساعدناه على أن ينمو ويصبح رسالة سلام وعيش مشترك وحريّة.